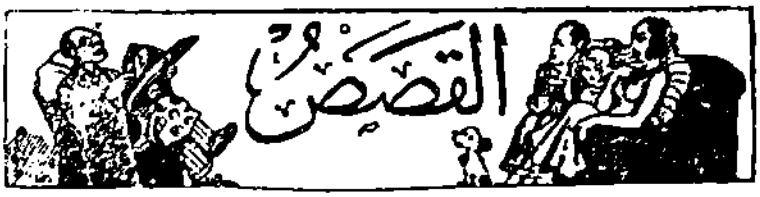

قلب الابن ...

للاستاذ كمال رستم

مهداة الى سعادة الأستاذ محمد كامل البهنساوى بك صاحب الأقاصيص المأثورة

. . رق إبراهيم إلى العربة وقال مخاطباً الحوذى

— عيادة الدكتور رأفت

وساط الحوذى جواده فتحامل الحيوان الجاهد على نفسه وجرر أقدامه فى تثاقل وبطء وهو يكاد أن يتكفأ من التعب والأنين . . .

وتنهد إبراهيم تنهدة عميقة وهو يرقب العربة تتحرك فى هينة ورفق كأنما قد خرج بها إلى نزهة وليس إلى أمر ذى بال . وهمه أن رأى العربات تمضى بمربته سريعاً كأنما جيادها شياطين جن وأزمع أن يصرخ فى الحوذى ليحث جواده التهالك على السير . ولكن الرجل كان قد برق فى ذهنه نفس الخاطر وأهوى سوطه على ظهر الحيوان فى قسوة وعنف فحث خطاه وأنفاسه حشرجة محتضر ...

ولكن الجواد وقد حسره السير تباطأت خطاه مرة أخرى وتقاربت فعاد الحوذى يلهب بالسوط ظهره والسباب يطفح من فمه وانصرف إبراهيم بذهنه عن الرجل وجواده وأرى إلى أفكاره يمايشها . . انه ترك أمه فى البيت طريحة الفراش . . وقد نعتاها المرض وتحلل بها حتى ليوشك أن يوردها موارد الموت ...

وبدا له غريباً أن يحدث هذا لأمه . . وأن تفارق روحها بدنها الناحل وهى مسمرة به . . ومضت صورتها لحظة فى ذهنه . . هذه الأم التى عُلت بها السن وهى بعد موئقة الخلق شديدة الأسر كفتاة فى العشرين ، فاستكثر أن تعنو هذه الحياة الكبيرة لمرض فوت . ولكن الحقيقة أن أمه كانت تعانى المرض . . وأنه أفقدها لأول مرة فى حياتها عن أداء واجبها . . وذكر أنها كانت وهى مدنفة تشرف على البيت مملكتها الصغيرة تناقش الزوجة وتراجع الخادم كما تفعل كل يوم . . دون أن تترك للمرض الواقد فرصة للتغلب عليها ...

كان البيت بيتها ، هى ربته تدير حركته وتصرف أموره على النحو الذى ترضاه ، وتأبى على الزوجة أن تطلق يدها فى شأن من شؤونه . . كانت تنهض من فراشها فى الصباح الواعد فتبعث بالخادم إلى السوق لشراء حاجات الطعام ، فاذا عادت من السوق وقد امتلأت سلتها بالخضر والطماطم واللحم دار بينهما بادئ الأمر حديث هادئ كان لا يلبث صوت أمه بعده أن يرتفع فى ثورة وغضب ، لأن الخادم — فى وهمها — سرقت نصف قرش ...

وحينما تتهيأ لطهو الطعام ويعلو صوت « وابور الناز » كانت تتمشى على شفتيها بسمة الرضا والسعادة ، فصوت الوابور يحكى عندها صوت الموسيقى تنتشى له وتطرب . . وعندما كان ابنها يعود من عمله مجهداً مكدوداً كانت تستقبله بابتسامة حلوة وتقول له

— أعددت لك اليوم فاصوليا تأكل معها أصابعك ...

وكان يجيبها وهو يربت على كتفها قائلا :

— نعم الطعام طعامك يا أمى ! لاعدمنا يديك ...

وتنثنى راجعة إلى المطبخ وقد استغرقتها السعادة لديحه وإطرائه . . بينما يدلف هو إلى غرفته ينضو عنه ثيابه . وكانوا يجلسون ثلاثتهم إلى المائدة يتناولون الطعام ويشققون الأحاديث ...

وعندما كانوا يفرغون من تناول طعامهم كانوا يأوون إلى أسرتهم يغفون القيلولة ولا يباوحونها إلا على أذان العصر

وهل يملك هذا المخلوق الحقير الا أن يسبح باسمك ويسبح ، ثم يريد النبى أن يشكر فاذا أنت سبحانك تسكب عليه الخير مرة أخرى فتهبئ له النعيم والبركة فهو منقلب من خير لك إلى خير منك أوسع ! سبحانك رب ! وهل الطبيب إلا برك يسعى على الأرض يستمين بك فتعينه ، ويستلهم وحيك فتلهمه سبحانك

ثروت اباظة

فتجهز له أمه القهوة، وبعد أن يتناولها كان يرتدي ملابسه وينطلق إلى الطريق ...

ولكن هذا لم يكن يحدث في كل وقت .. فالغالب ألا يمضي اليوم هكذا هادئاً دون أن يمكر صفوه نزاع أو شجار يقوم بين زوجه وبين أمه ... ولقد اعتاد أن ينصت إلى شكايتهما .. ويحاول جهده أن يصلح بينهما دون أن يتحيز إلى إحداهما .. ولكن موقفه هذا كان لا ينجيه من غضب الاثنتين جميعاً . فأمه ترميه بمحاباة الزوجة .. والزوجة تتهمه بمظاهرة الأم .. ويمضي به اليوم أبأس ما يكون اليوم ... ولم يكن هذا النزاع بين زوجه وأمه لينتهي أبداً .. وأبهظت هذه الحال أعصابه.. وأمضته فكان ينفر من البيت وينطلق إلى الطريق يقتل وقته في المقاهي والمشارب يسلو ويتمزى .. وكان يعود متأخراً إلى البيت فيجد في انتظاره زوجته غضبى .. تشكو له أمه وتنعى عليها أنها سبب شقائهما في حياتهما كزوجين .. إنها تعرف أن أمه لا تحمل لها إلا البغض .. وهي لا تنسى أنها عارضت في زواجه منها ... لأنها كانت تأمل أن تزوجه من ابنة أختها ... ولكن إبراهيم ركب رأسه وأصر على أن يتزوج منها هي لأنهما كانا متحابين ... وأنها لذلك تسعى إلى تعكير ما بينهما من صفو لتحملها على مغادرة البيت ... ولقد تبينت خطأها آخر الأمر ... فما كان ينبغي أن تقبل أن تبنى به وأمه لا تبارك زواجهما ... وكان ينهض من فراشه في الصباح خائراً مكدوداً فيمضي إلى أمه يقرئها تحية الصباح فتردها عليه فاترة ... وتقول له إن زوجه أدارت رأسه ... وأنها تعمل على افساد ما بينهما ... وتذكره بأنها أمه ... أمه التي حملته في بطنها ... وقامت على تربيته إلى أن غدا رجلا ... إنها أعدته للزمن أملاً لها في شيخوختها ... ولكن امرأة لم تتعب في تربيته ... امرأة أجنبية ... تبعث في قلبه المقوق وتنفره منها وهو صامت لا يتكلم .. إنها تعلم أن زوجه تريد أن تقصرها بعنادها على مبارحة البيت ليصبح لها على اتساعه ... وستفعل هي ذلك يوماً ما دام أنه يظاهر زوجه عليها .. وستمضي إلى شقيقها تقضي عنده ما تبقى من أيامها وإنها لقلائل وتدعه لزوجه تهنأ به ... وحينما ينطلق إلى الطريق محتضناً أفكاره كان يفكر في حياته الشقية هذه ... انه لا يذكر أنه شعر بالهدوء يوماً ولا بالراحة منذ أن تزوج ...

إن أمه كان يعز عليها أن يشرك في حبها زوجته. وكثيراً ما كان يهم بأن يطلب منها أن تعدل أسلوب معاملتها لزوجه، ولكنه كان لا يلبث أن يضعف ويستخذي ويقنع نفسه بأنها ستفعل ذلك من تلقاء نفسها حالما تدرك أن سلوكها هذا يتعسه ويشقيه ... ولكنها لم تشأ أبداً أن تقدم على هذه الخطوة من جانبها . ومات النزاع بينها وبين زوجه لا ينفض إلا ريث أن يعود من جديد ... وآخر مرة هددته زوجه بأنه إن لم يوقف أمه عند حدها فإنها ستغادر بيته إلى الأبد ... ولكن ها هي ذي أمه — طريحة الفراش لا تقوى على حركة ... وانبعث خاطر حري بين خواطره له همس حبيب ... « لو أن أمه تموت ! » . نعم فإنه يود أن يتحرر من إسار بنوته ويخلص إلى زوجه التي لم ينعم بحبها لحظة واحدة ... ومضت في خياله صورة زاهية لمستقبله الهانئ مع زوجته .. إنهما يعيشان في البيت وحدهما ... يتذاكران الماضي ويستعيدان مشاهده ... ثم انتقلت خواطره إلى أن وقفت به عند أمه ... فأقنع نفسه بأنها أخذت حظها من الحياة، وأن الخير في أن تمضي عن الدنيا الآن وقبل أن يعتد بها المرض ...

وأخرجه من تأملاته صوت الحوذي يقول

— عيادة الدكتور رأفت بابك ..

فهبط معجلا ...

ولما عاد إلى المنزل مع الطبيب تقدمتهما زوجه إلى غرفة المريضة ...

هناك رأى أمه ممددة على الفراش منهوكة القوى مهدومة ... وكانت عيناها مغلقتين ... وصدرها السقيم يخفق وأنفاسها الحارة تتلاحق ...

وبدا وجهها المعروق وقد زايلته حمرته ... وشاعت فيه بدلا منها صفرة الموت ...

وتقدم الطبيب من مهادها وأمسك بمعصم يده ... يدها المتقدة، ففتحت عينين أنهكهما المرض وكللهما السهد ... وفحصها ... ووصف الدواء ...

وخلا إلى الزوجين وقال لهما :

— لا معدى من إجراء جراحة فهي الأمل الوحيد لإنقاذها ... وليس من الأطباء من أضمن أن يقوم بإجرائها بنجاح إلا الجراح الكبير

« محمود باشا سامى » ... فإذا أمكن أن ننقلها غداً إلى مستشفاه بالقاهرة فلا تترددا ... وإلا ضاع الأمل فى إنقاذها إلى الأبد ...

وصافحهما ومضى ...

وقالت زوجه:

— لتحضر لها الدواء ... وليفعل الله بعد ذلك مايشاء ... إنك لاطاقة لك بتفقات جراحة لا طائل تحتها ... وأنت تعلم من هو محمود باشا سامى ...

وأمن الزوج على قولها وقال :

— نعم ليفعل الله ما يشاء ...

وخرج يحضر الدواء ...

وراح ذهنه طول الطريق يبرق بشتى ألوان التفكير ...

وفجأة ... أحس بشعور جديد وافد ... يطرق قلبه ...

إنه الألم ... الألم الذى راح يغلف روحه فى غير هوادة ...

بدا له أن أمه عزيزة عليه ... وأنه يحبها كما لم يحبها من قبل ...

وتراءت له صورتها الحبيبة ... يوم أن كانت ملاً حركتها البيت ...

وراح يقابلها بصورتها وهى مسجاة على الفراش ... لا تقوى على حركة ... فزخرت بالألم نفسه ... وناش الحزن صدره، وخيل إليه لحظة أنه لا يطيق العيش بعدها ... هذه الأم التى أحبته من أعمق قلبها ...

وشعر بالخزى والعار لأنه تمنى لها الموت ...

وكان قد بلغ الصيدلية فابتاع لها الدواء وانقلب عائداً إلى البيت محتضنا أفكاره ...

ودخل غرفتها ...

وكانت أمه مسترخية على الفراش وقد تآلف جفناها ...

وتباطأت دقات قلبها ... ووهنت أنفاسها ...

وكاد مشهدها أن يستل روحه من بين أضالعه

ووسد راحته جبينها العلت ... وقال فى صوته الخفيض

— أماه ألا تزالين نائمة ...

وفتحت جفنيها المطبقين ... وكما لو كانت الحياة دبت فيها من جديد ... تمتمت على شفتيها بسمة واهنة وهمست

— إبراهيم ؟

— نعم يا أماه ... لقد أحضرت لك الدواء ... وسيمسح الله مابك ... وتعودين إلى طهو الطعام لأن لاأسيته من غير يديك ...

ووهنت ابتسامتها حتى كادت أن تتلاشى وقالت فى صوتها الهامس ...

— لقد ضعفت يا إبراهيم ... لا تأس ... إننى أحس بأن حياتى انتهت ...

وخنقته العبرات وهو يقول

— لاتقولى ذلك يا أماه. إنك فى خير وعافية

... ولم تتكلم ... وراح ابنها يحدق فيها ... فى وجهها الحبيب الذى طالما طالعته ابتسامته ... وخيل إليه فى لحظة واحدة أنه على استعداد لأن يضحى كل شئ فى سبيل أن تبقى ... أن تعيش ... أن يراها مرة أخرى ملاً البيت ... وأن تستقبله بابتسامتها العريضة ... وأن تجلس إلى المائدة تطرى الطعام الذى صنعته له ...

وفكر فى غمرة ألمه وحزنه أن يفعل شيئاً سريعا لإنقاذها ...

إنه سيسحب فى الغد من صندوق التوفير نقوده كلها ويوقفها على شفاء أمه ... على برئها ...

وانحنى فوق وجهها الناحل يقبله فى جنين وهو يقول :

— أماه ... سنسافر غداً إلى القاهرة ... وسأقوم إلى جانبك إلى أن يتم إجراء الجراحة لك وتبرئى من مرضك ...

وعمشت على شفتيها ظلال ابتسامة ... وبدا له أنها متعبة مكدودة ... إذ تآلف جفناها فجأة ... فتراجع إلى غرفته ... والدموع ملء عينيه ...

كمال رستم

مصلحة البلديات

مبانى

تقبل المطاءات بمجلس طنطا البلدى حتى ظهر يوم ٣٠ — ١ — ١٩٥١ عن انشاء استراحة للمشيعين بالجبانة وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة من فئة ٣٠ مليما نظير مبلغ ٥٠٠ مليم للنسخة خلاف أجرة البريد ٧٢٠٥